آيات قبل الساعة

روى مسلم قائلاً: «حدّثنا أَبُو خَيْثَمَةَ، زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَابْنُ أَبِي عُمر الْمَكِّيُّ ـ وَاللَّفْظُ لِزُهَيْرٍ ـ قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا. وَقَالَ الآخَرَانِ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ فُرَاتٍ الْقَزَّازِ، عَنْ ابْنِ الطُّفَيْلِ، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ، قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ. فَقَالَ: **«مَا تَذَاكَرُونَ؟»** قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ. قَالَ: **«إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّىٰ تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ»**. فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزولَ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ. وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ. وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ. وَآخِرُ ذٰلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ»[1].

وقال: «حَدّثنا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ. حَدَّثَنَا أَبِي. حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ فُرَاتٍ الْقَزَّازِ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ عَن حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي غُرْفَةٍ وَنَحْنُ أَسْفَلَ مِنْهُ. فَاطَّلَعَ إِلَيْنَا فَقَالَ: **«مَا تَذْكُرُونَ؟»** قُلْنَا: السَّاعَةَ. قَالَ: **«إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُونُ حَتَّىٰ تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَالدُّخَانُ، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الأَرْضِ، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرة**

---

(1) صحيح مسلم 8/ 178، 179.

عَدَنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ». قَالَ شُعْبَةُ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ رُفَيْعٍ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ، مِثْلَ ذٰلِكَ. لَا يَذْكُرُ النَّبِيَّ. وَقَالَ أَحَدُهُمَا، فِي الْعَاشِرَةِ: نُزُولُ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ. وَقَالَ الآخَرُ: وَرِيحٌ تُلْقِي النَّاسَ فِي الْبَحْرِ»[1].

وروى كذلك: «وحدّثناه مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ. حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ يَعْنِي ابْنَ جَعْفَرٍ. حَدَّثَنَا شُعبَةُ عَنْ فُرَاتٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الطُّفَيْلِ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ في غُرْفَةٍ. وَنَحْنُ تَحْتَهَا نَتَحَدَّثُ. وَسَاقَ الْحَدِيثَ. بِمِثْلِهِ. قَالَ شُعْبَةُ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ: تَنْزِلُ مَعَهُمْ إِذَا نَزَلُوا. وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيثُ قَالُوا. قَالَ شُعْبَةُ: وَحَدَّثَنِي رَجُلٌ هَذَا الحَدِيثَ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ. وَلَمْ يَرْفَعْهُ. قَالَ: أَحَدُ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ: نُزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ. وَقَالَ الآخَرُ: ريحٌ تُلْقِيهِمْ فِي الْبَحْرِ»[2].

وروى: «وحدّثناه مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى. حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ، الحَكَمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ العِجْلِيُّ. حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ فُرَاتٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الطُّفَيْلِ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي سَرِيحَة، قَالَ: كُنَّا نَتَحَدَّثُ. فَأَشْرَفَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ. بِنَحْوِ حَدِيثِ مُعَاذٍ وَابْنِ جَعْفَرٍ. وَقَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى: حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ، الحَكَمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ. حَدَّثَنَا شُعبَةُ عَنْ عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ رُفَيْعٍ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ. بِنَحْوِهِ. قَالَ: وَالعَاشِرَةُ نُزُولُ عِيسَى ابْنِ مرْيَمَ. قَالَ شُعْبَةُ: وَلَمْ يَرْفَعْهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ»[3].

شرح للنووي:

وننقل أولاً شرح ما في الأحاديث من إشكالات ومعاني ألفاظ عن شرح النووي؛ يقول:

---

(1) السابق: نفسه.

(2) السابق 8/ 179، 180.

(3) السابق 8/ 180.

قوله: عن حذيفة بن أسيد هو بفتح الهمزة وكسر السين. قوله: عن ابن عيينة عن فرات عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد، هذا الإسناد مما استدركه الدارقطني وقال: ولم يرفعه غير فرات عن أبي الطفيل من وجه صحيح قال: ورواه عبد العزيز بن رفيع وعبد الملك بن ميسرة موقوفاً هذا كلام الدارقطني وقد ذكر مسلم رواية ابن رفيع موقوفة كما قال ولا يقدح هذا في الحديث، فإن عبد العزيز بن رفيع ثقة حافظ متفق على توثيقه فزيادة مقبولة.

قوله ﷺ في أشراط الساعة: (لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال) هذا الحديث يؤيد قول من قال: أن الدخان دخان يأخذ بأنفاس الكفار، ويأخذ المؤمن منه كهيئة الزكام، وأنه لم يأتِ بعد، وإنما يكون قريباً من قيام الساعة وقد سبق في كتاب بدء الخلق قول من قال هذا، وإنكار ابن مسعود عليه وأنه قال: إنما هو عبارة عما نال قريشاً من القحط حتى كانوا يرون بينهم وبين السماء كهيئة الدخان، وقد وافق ابن مسعود جماعة وقال بالقول الآخر: حذيفة وابن عمر والحسن ورواه حذيفة عن النبي ﷺ وأنه يمكث في الأرض أربعين يوماً، ويحتمل أنهما دخانان للجمع بين هذه الآثار. وأما الدابة المذكورة في هذا الحديث فهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: 82]. قال المفسرون: هي دابة عظيمة تخرج من صدع في الصفا وعن ابن عمرو بن العاص أنها الجساسة المذكورة في حديث الدجال. قوله ﷺ: (وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم) وفي رواية: (نار تخرج من قعرة عدن) هكذا هو في الأصول قعرة: بالهاء، والقاف مضمومة ومعناه: من أقصى قعر أرض عدن، وعدن مدينة معروفة مشهورة ظاهراً قال الماوردي: سميت عدناً من العدون، وهي: الإقامة لأن تبعاً كان يحبس فيها أصحاب الجرائم، وهذه النار الخارجة من قعر عدن واليمن هي الحاشرة للناس، كما صرح به في الحديث. أما قوله ﷺ في الحديث الذي بعده: (لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى) فقد جعلها القاضي عياض حاشرة. قال: ولعل ناران

يجتمعان لحشر الناس، قال: أويكون ابتداء خروجها من اليمن ويكون ظهورها وكثرة قوتها بالحجاز، هذا كلام القاضي. وليس في الحديث أن نار الحجاز متعلقة بالحشر بل هي آية من أشراط الساعة مستقلة وقد خرجت في زماننا نار بالمدينة سنة أربع وخمسين وستمائة، وكانت ناراً عظيمة جداً من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة تواتر العلم بها ثم جميع الشام، وسائر البلدان وأخبرني من حضرها من أهل المدينة. قوله (عن أبي سريحة): هو بفتح السين المهملة وكسر الراء وبالحاء المهملة. قوله ﷺ: (ترحل الناس) هو بفتح التاء وإسكان الراء وفتح الحاء المهملة المخففة هكذا ضبطناه وهكذا ضبطه الجمهور وكذا نقل القاضي عن روايتهم ومعناه: تأخذهم بالرحيل وتزعجهم»[1].

وقفة لنا:

ولا بد لنا أن نقف قليلاً عند هذه الأحاديث؛ فهي تذكر علامات قد مضى سردها في هذا الكتاب ونقلنا أقوالاً في ترتيبها وعلقنا في سائر الأبواب على بعضها وسياقاتها في الفتن الواقعة. وترتيبها قد تبدي لنا فيما سبق من الأحاديث والجمع بينها.

وأما مسألة نزول عيسى ابن مريم فهي مسألة مرتبطة بفكرة شاعت لدى المسلمين للأسف؛ مؤداها أن عيسى حي لم يمت وأن الله رفعه بروحه وجسمه إليه، ولا ندري ما وجه هذا الاعتقاد؟ غير أن الفكرة تؤيد ما يذهب إليه النصارى في مسألة بعض اعتقاداتهم في هذا الباب، ولفظ النزول الوارد في الحديث لا يدل في لغة العرب على النزول من السماء فقط، بل هو النزول من أعلى إلى أسفل كما ورد في سورة الأعراف مثلاً: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ﴾ [الأعراف: الآية 26] فالإنزال إنما يكون بجز الصوف من ظهر الحيوان أو الوبر، وهو من أعلى إلى أسفل، وكذلك ما ذكر في إنزال الحديد

(1) شرح النووي على صحيح مسلم 18/ 27 ـ 29.

للناس في القرآن، فهو من الجبال هاهنا وليس من السماء، وانحدار عيسى من الأعالي هو نزول، فربما كان انحداره من بعض المرتفعات في بلاد الشام، ونحن نجزم بأنه قد رفعه الله إليه بمعنى أنه قد رفع روحه بالقبض فتوفاه إليه سبحانه، وأنه كان قد هرب من اليهود وعاش مستتراً لا يعلم اليهود ومكانه حتى قبضه الله إليه، ودُفن في قبر، وأن الله سبحانه سيحييه ـ وهو القادر على كل شيء ـ ثم يبعثه لقتل الدجال، وأنه سيحكم بِشْرعَة المسلمين كما أراد الله أن يُحْكَم بها، ثم يموت ويدفنه المسلمون بعد أن يؤمهم عقوداً من الزمان لتطبيق شرع الله وإعادته إلى الأرض[1].

وليس صحيحاً ما ذهب إليه بعض الباحثين في رسالة له زاعماً أن المهدي هو فكرة غير صحيحة وأنه إن صحت الأحاديث فيه فإنه يحمل على أنه عيسى ابن مريم، فالمهدي شيء وعيسى شيء آخر، ولكل زمانه ومكانه.

(1) وقد بينا هذا بتفاصيله في كتاب لنا عن الأساطير قِيْدَ الطبع.